النشيد القومي المصري

نبيل بهجت

لم ينتبه أحد في مصر قبل عام ١٩٠٨م إلى النقص الذي يعتري الحياة الوطنية في عدم وجود نشيد قومي يردده الشعب في مناسباته المختلفة. وفي هذا العام زار وفد من الرومانيين مصر، ورافقهم عدد من نادي المدارس العليا، فأنشد الوفد الروماني نشيدهم الوطني، وأخذ بعضهم يسأل عن النشيد القومي المصري؛ وكانت المفاجأة التي أدهشتهم عدم وجود نشيد للبلاد!

كانت هذه الحادثة كفيلة بتنبيه أقطاب الحركة الوطنية لسد هذا النقص، فكتب الأديب علي الغاياتي ديوانًا أطلق عليه اسم «وطنيتي»، وقدم له الزعيم محمد فريد. وفي هذا الديوان نظم نشيدًا كان مطلعه:

نحنُ للمجدِ نسيرُ ولنا اللهُ نصيرُ
ليس يثنينا نذيرُ عن بلادٍ تستجيرُ

تأليف علي الغاياتي

ووجدت السلطة الحاكمة آنذاك فرصتها بالانقضاض على رموز الحركة الوطنية في مصر، فصادرت الديوان وأصدرت حكمًا بسجن مؤلفه لمدة عام في أغسطس ١٩١٠م، وحبس محمد فريد لمدة ستة أشهر، وكان لهذا الحكم عظيم الأثر في عدم تكرار محاولة نظم نشيد قومي.

وعندما اندلعت ثورة ١٩١٩م، بدأت الجماهير تبحث عن نشيد تلتف حوله؛ فما كان من أفراد الطبقة المثقفة إلا أن اختاروا نشيد الحرية الفرنسي، ولكن سرعان ما أدرك الشعب بُعد هذا النشيد عنهم؛ فكتب بديع خيري «قوم يا مصري مصر دايمًا بتناديك»، ولحنه سيد درويش، وأصبح هذا النشيد نشيد الثورة، ومن الغريب أن الدولة لم تعترف به كنشيد رسمي للبلاد.

وفي سنة ١٩٢٠ بنى بنك مصر دار التمثيل العربي بحديقة الأزبكية، ورأى طلعت حرب أن يفتح عهد هذه الدار بنشيد قومي يتفق عليه كبار الشعراء، وعمد إلى أمير الشعراء بتأليف هذا النشيد؛ وفعلاً أنشد قائلاً:

بَني مِصر مكانَكُمُو تهيَّا فهيَّا مَهِّدُوا للمُلكِ هَيَّا

تأليف أحمد شوقي

وكي لا يفرض هذا النشيد على الشعب، رأى طلعت حرب تنظيم مسابقة لاختيار أول نشيد قومي، ووقع اختيار لجنة المسابقة على نشيد أحمد شوقي كنشيد قومي أول للبلاد، واختارت نشيد الشاعر محمد الهراوي ليكون النشيد الثاني للبلاد، ومطلعه:

دعتْ مصرُ فلبينا كِراما ومصرُ لنا فلا ندعُ الزِّمامَا

تأليف محمد الهواري

على أن الحكومة لم تعترف رسميًّا بهذه الأناشيد، و لم تسع لنشرها فظلت بعيدة عن نبض الجماهير؛ وهو ما دفع العقاد إلى نظم نشيده القومي عام ١٩٣٤م، وألقاه بدار الأوبرا، ولكن الحكومة لم تعترف بهذا النشيد أيضًا. وكان مطلعه:

قد رفعنا العلمَ للعلا والفدا

تأليف العقاد

وفي عام ١٩٣٦م قررت الحكومة المصرية الاشتراك في دورة الألعاب ببرلين، فرأى بعض المفكرين ضرورة سد النقص بعمل نشيد قومي تعترف الحكومة به رسميًّا، وأذاعت وزارة المعارف قرارًا جاء فيه: «نظرًا لما للأناشيد القومية من الأثر القومي في إيقاظ شعور الشعب حين يتناشدها، والحاجة إلى نشيد من هذا النوع يُلقى في المناسبات القومية والدولية أسوة بالدول المتحضرة، وبما أنه لا يوجد لمصر في الوقت الحاضر نشيد قومي يُعترف به رسميًّا؛ دعت الوزارة إلى عقد مسابقة لاختيار نشيد قومي»، وفاز في هذه المسابقة نشيد للشاعر محمود محمد صادق، ولحنه عبد الحميد توفيق، ومطلعه:

بلادي بلادي فداك دَمي وهبتُ حياتي فِدًى فاسلمي
غرامُك أولُ ما في الفؤاد ونجواك آخرُ ما في فمي

تأليف محمود محمد صادق وتلحين عبد الحميد توفيق

أما عن الأناشيد العسكرية آنذاك، فقد نشرت مجلة الصباح عام ١٩٣٨م عددًا عن الاحتفالات العسكرية نشرت فيه نشيد مصر القومي العسكري لعبد الحميد توفيق، ومطلعه:

نحن السيوفُ المشروعاتُ للعِدا أرواحُنا للنيلِ والعرشِ فِدا

تأليف عبد الحميد توفيق

ونشيد:

نحن جنودُ النصرِ أبطالُ الدفاعِ يومَ يدعُونا لنـــارِ الهولِ داع

تأليف محمود حسن إسماعيل وتلحين محمد عبد الوهاب

وكان طبيعيًا أن تُلغى هذه الأناشيد فور قيام ثورة يوليو، وأصدرت وزارة المعارف قرارًا بتحفيظ الطلاب نشيدين لأحمد رامي؛ لتسري بين الطلاب روح العهد الجديد، ومطلعهما:

مصر التي في خاطري وفي فمي أحبها من كُلّ روحي ودمي

وعلى الإله القـوي الاعتمـاد بالنظـام والعمـل والاتحـاد

النشيدين من تأليف أحمد رامي

وكان نشيد «عاش الجيل الصاعد عاش» نشيدًا لأعياد الثورة، إلا أن هذه الأناشيد لم يُعترف بها رسميًا؛ وهو ما دفع أحد الكتاب عام ١٩٥٦م إلى القول: «والحق أنني لا أعرف أمة، لها عَلَمٌ إلا ولها نشيد قومي، فالعلم والنشيد يكملان بعضهما البعض، لذلك نحن ننتظر ميلاد ذلك النشيد».

وفي نفس العام حدث العدوان الثلاثي على بورسعيد فاشتعل حماس الشعراء والملحنين، وكثر في هذه الفترة تأليف الأناشيد الوطنية ومن أشهرها نشيد:

اللهُ أكبرُ فوقَ كَيْدِ المعتدي واللهُ للمَظلومِ خيرُ مُؤَيِّدِ

تأليف عبد الله شمس تلحين محمود الشريف

ونشيد:

والله زمـان يا سلاحي اشتقتُ لك في كفاحي

تأليف صلاح جاهين، وتلحين كمال الطويل، وغنته السيدة أم كلثوم.

ووقع اختيار الرئيس جمال عبد الناصر على هذا النشيد ليكون النشيد القومي لمصر آنذاك.

وبعد أن تولى الرئيس السادات الحكم قرر إلغاء هذا النشيد، واستبدل به نشيد:

بلادي بلادي لك حبي وفؤادي

تأليف الشيخ يونس القاضي، وتلحين سيد درويش عام ١٩٢٣م؛

ليستقبل به الزعيم سعد زغلول لدى عودته من منفاه، وما زال هذا النشيد مستعملا حتى وقتنا الراهن.